

بَيْنَ ثَقَاتَيْنِ
مِنْ وَجْهِ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ

بَيْنَ ثَقَافَتَيْنِ

مِنْ وَحْيِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

اَلشَّيْخُ عَبْدِ الْمَحْسِنِ الزَّوَّار

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

③ عبد المحسن بن حسن الزواد، ١٤٢٩هـ

فهرسة الملك فهد الوطنية الثانية أثناء النشر

الزواد، عبد المحسن بن حسن

بين ثقافتين/ عبد المحسن بن حسن الزواد - سيهات، ١٤٢٩هـ

ص: ٢٣٩

ردمك: ٥-١٣٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية أ. العنوان

١٤٢٩/٥٤٠٥

ديوي ٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٥٤٠٥

ردمك: ٥-١٣٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

الإهداء.

إليك سيدي

يا رسول الله ﷺ

يا نبي الرحمة.

راجياً القبول.

محسن

مقدمة

إنَّ الرسالة الواجب علينا أداؤها ، أن نقرأ الشخصية
الرسالية للنبيِّ الأكرم ﷺ حتَّى تتعزز في نفوسنا
وتتحول إلى منهج للاقتداء في حياتنا الإسلامية أولاً .
ثانياً: ليتعرّف العالم على حقيقة الشخصية النبويّة
التي تتعرض لحمالات التشويه في حرب ضروس ضد
الإسلام والمسلمين .
وإنَّ ما يجري من ممارسات إرهابية لا صلة لها بواقع
الرسالة الإسلامية .
ولعلَّ من يقرأ تأريخ الإسلام يتبيّن له ما يلي :

- ١- أنّ الإسلام كان دين الرّحمة لكل البشر .
 - ٢- أنّ نبيّ الإسلام محمّداً ﷺ لم يمارس العنف خلال مسيرة الدعوة الإسلامية .
 - ٣- أنّ الحروب التي خاضها ﷺ كانت حروباً دفاعية .
 - ٤- مارس ﷺ أخلاقية فريدة في التعاطي مع أعدائه .
 - ٥- أسس لنظام عادل في العلاقة مع الآخر العقدي كان عنوانه الرحمة والإنسانية .
- وهذه العناوين يعرض لها الكتاب من خلال هدي السيرة النبوية .
- أسأل من الله العليّ القدير أن يوفّقني لذلك ،
والحمد لله رب العالمين .

بين ثقافتين

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾^(١).

(١) ٢ / الجمعة

بين ثقافتين

الأولى: ثقافة التغيير والإصلاح ، والتربية والبناء .
الثانية: ثقافة التشويه - للعقل - .

أما الأولى: ثقافة التغيير

التي اعتمدها الإسلام لصناعة الفرد والمجتمع والحضارة ، لأنها تنبثق عن السماء - الوحي الإلهي - وهي تستوعب الإنسان - والمجتمع والحضارة - لقدرتها على قراءته ، ومعرفة مقومات القوة والضعف ، وما يصلح ويفسد - الإنسان - فكانت الانطلاقة الأولى مع رسول

الله ﷻ لِيُحوِّلَ واقع الأمة المتخلف بكل صوره إلى واقع أفضل بكل المعاني بما يلي :

١. البناء المعرفي: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾

من خلال قراءة الوحي الإلهي الذي يمثل قمة المعارف وأكملها على الإطلاق ، بمعنى أن الإنسان مهما أوتي من قوة وقدرة ومعرفة لا يستطيع إدراك هذه المعارف الإلهية بكل تفاصيلها .

هذا البناء المعرفي الذي يُوسِّع من إدراكات الإنسان ، وتحريره من بلادته المعرفية والفكرية ، وإثارة العقل الذي يُوصل إلى الحقائق - حقائق الخلق والقدرة الإلهية ، وكذلك بحقائق الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض - .

استطاع هذا البناء أن يُحوِّل مجتمعا كان غارقا في الأمية بتعبير القرآن الكريم ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ

كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾.

حيث كان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة قبل ظهور الإسلام لم يتجاوز (١٧) شخصاً في مكة و (١١) نفرًا في المدينة. (٢)

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً حالة العرب قبل بعثة النبي ﷺ :

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مِنْجَاتَهُمْ. فَاسْتَقَامَتِ قَنَاتُهُمْ وَاطْمَأْنَتِ صِفَاتُهُمْ. (٣)

٢. قدرة صياغة الشخصية: ﴿وَزَكَّيْهِمْ﴾

وذلك عبر منهج التربية القادر على ما يلي :

أ- العمل على معالجة الشخصية من كل الأمراض

(١) ٢/ الجمعة

(٢) سيد المرسلين للسبحاني ٩١/١.

(٣) المصدر السابق (الخطبة ٣٣) ٩٣/١.

والوساوس النفسية والسلوكية . وأمراض تخلف الشخصية .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) .

ب- القدرة على بناء قيم الخير والجمال والصلاح .
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) .

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ

(١) ٥٧/يونس

(٢) ١٩١/ آل عمران

مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

حالة العرب قبل البعثة النبوية:

جعفر بن أبي طالب يحكي قصة العرب قبل بعثة النبي ﷺ لملك الحبشة :

«أيها الملك ، كنّا قوماً أهلَ جاهلية نعبدُ الأصنامَ ، ونأكلُ الميتةَ ، ونأتي الفواحشَ ، ونقطعُ الأرحامَ ، ونسيءُ الجوارَ ، ويأكلُ القويُّ منّا الضعيفَ ، فكنا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا ، نعرف نسبَه وصدقَه ، وأمانته وعَفافَه ، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعْبُدَه ، ونخلعَ ما كنّا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات . وأمرنا أن نعبدَ

(١) ١٥٧ / الأعراف

الله وحده ، لا نشركُ به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصَدَّقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله .^(١)

٣. بناء قدرة التعاطي مع الحياة بكل تفاصيلها ، التي تخلق وعياً أفضل ، وواقعاً أفضل ، وإنساناً أفضل .
من خلال كل ذلك فإنَّ العلم والحكمة من شأنهما صناعة الحياة .

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) .

أما الثانية: ثقافة التشويه

وهي ثقافة هذا العصر التي استوعبت الكثير بما يرتبط بالإنسان معرفياً ، إلّا أنَّها لا تخلو من الخلل على مستويات أخرى مرتبطة بالإنسان الفرد والمجتمع ،

(١) سيد المرسلين للسبحاني ٤٥٦/١ .

(٢) ٢/ الجمعة

والإنسان الحضارة .

إنّها ثقافة تعتمد على ما يلي :

أ- التشويه الفكري والعقدي من خلال الاهتمام والتأكيد على كل ما هو سطحي وقشري ، وهذا ما نقرأه في عالم الثقافة اليوم الذي يُكرس الاهتمامات السطحية والقشرية ، بعيداً عن القيم الجمالية للكون والطبيعة بل والأهم العقيدة .

وكذلك العمل على تشويه عقائد الإنسان الفطرية حول الخالق والخلق والآخرة . بما يرتبط بأصول العقيدة الإسلامية - التوحيد ، العدل ، النبوة ، الإمامة ، المعاد - .

ونقرأ ذلك من خلال الطروحات التي يتناولها إنسان الغرب وصنائعه في العالم العربي وهو تعبير القرآن الكريم : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾^(١) .

(١) ٥٩ / مريم

﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطًا﴾^(١).

﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

﴿وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

ب- إشاعة أجواء الميوعة وتأکید واقع الانحراف لأنها
تدفع إلى مستويات من الحيوانية والشهوانية ، لتعزز
ثقافة العري والغريزة الجنسية على حساب ثقافة الستر
-الالتزام - وبالتالي تعيش الشعوب عالماً بلا فضيلة .

إنّها ثقافة وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك وهو
تعبير الآية : ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ
الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾^(٤).

(١) ٢٨ / الكهف

(٢) ٣٦ / الإسراء

(٣) ٢٤ / النمل

(٤) ٢٣ / يوسف

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

ولا شك أنّ هذا الاستغراق في الشهوة والرذيلة يستنفذ كل طاقات البناء، سعيّاً وراء كل متطور يُعمّق الشهوة والانحراف ويؤكدتهما.

وما هذه الفضائيات التي تبث الخلاعة والمجون إلا أحد عناوين ثقافة التشويه - جاهلية القرن الواحد والعشرين -.

بين ثقافتين

الأولى: ثقافة الستر التي تعمل على إشاعة أجواء الفضيلة والاحتشام، وكبح الشهوات، وهي تحث وتدفع بهذا الاتجاه.

الثانية: ثقافة العري التي تعمل على إشاعة أجواء الميوعة والخلاعة، وتعتبر ذلك من التطور والتحرر.

(١) ٧٩ / المائدة

إنَّ الأولى تعمل على بناء دعائم قوية وبناء قوي ، أمَّا الثانية فإنَّها تهتم بالظاهر الجمالي على حساب الباطن الملوَّث .

غض البصر وحفظ الفرج مثلاً :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿١﴾ .

قد ثبت بالبحث والدراسة العلمية أنَّ تكرار النظرة بشره للجنس الآخر يُفضي بالشخص إلى مشاكل عديدة قد تصل إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض ، مثل احتقان البروستاتا ، والضعف الجنسي ، وغيره من أعراض مرضية خطيرة .

وأنَّ عدم حفظ الفرج يؤدي إلى انتشار عديد من الأمراض السرية التناسلية ، مثل السيلان والزهري ،

(١) ٣٠-٣١ / النور

التي تؤدي بالتالي إلى العقم الدائم ، وذلك فضلاً عن التعرض لأزمات نفسية ، واكتئاب وتغيير في طبيعة الشخص إلى الأسوأ باستمرار .

كما أثبتت الدراسات الاجتماعية أنّ من أهم أسباب عدم غض البصر ، وحفظ الفرج هو انتشار التحلل الجنسي ، والعردة الأخلاقية في المجتمعات الأوربية والأمريكية ، مما جعل هذه المجتمعات الآن تعيش في رعب دائم بسبب انتشار جرائم الجنس التي أدت بدورها إلى انتشار الأمراض القاتلة . وأساس ذلك كله هو حاسة النظر التي تعتبر من أقوى الحواس الأربع من ناحية الإثارة الجنسية .

ولذا يتجلى الإعجاز العلمي في الآية التي تحضّ على غض البصر ، وحفظ الفرج ، وبيان أنّ ذلك أسلم للنفس وأحفظ لها . . والتي أثبت أخيراً بعد البحث والدراسة مدى ضرر مخالفتها .^(١)

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام لمحمد كامل عبد الصمد ص ٣١ .

نبي الرحمة محمد ﷺ [١]

﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

يعتبر موضوع الإساءة إلى الشخصية الرسالية - أقصد شخصية النبي الأكرم ﷺ - من أهم الأحداث

التي تحركت وتفاعلت على المستوى العالمي ، واتخذت
أبعاداً دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية .

الرسوم المسيئة

لا شك أنّ الرسوم المسيئة تعبّر عن إحياء ثقافي ،
بل تعكس وجهة نظر الفنان الثقافية . فهو يريد إيصال
فكرة من خلال اللوحة الفنية ، وهذا ما نقرأه في
الرسوم المسيئة للرسول ﷺ فهي تريد أن ترسخ في
الذهنية العالمية إرهاب الشخصية النبوية وأنّ ما يجري
من أحداث إرهابية اليوم ما هي إلا نتاج ذلك الفكر
والشخصية الرسالية للنبي الأكرم ﷺ .

الرسومات الدنمركية . . إفراز جديد لمرض قديم ،
كانت صحيفة (يولاندز بوستن) قد نشرت ١٢ رسماً
كاريكاتيرياً مسيئاً للنبي محمد تضمنت تعليقاً لرئيس
تحريرها يُبدي فيه سخريته وتعجبه من القدسية التي
يحيط بها المسلمون رجلاً كهذا . . وتضمنت الصور

تلميحات بتحريض النبيّ على الإرهاب وقتل الآخرين ،
لعلّ أبرزها إلباسه عمامة محاطة بالقنابل اليدوية .^(١)

الرسوم : وما مضمونها؟

وأكثر الرسوم إثارة للجدل هو الذي تظهر فيه عمامة
الرسول على شكل قبلة يشتعل فتيلها ، مزينة بشعارات
إسلامية . ويبدو الوجه غاضباً وخطيراً في الرسم ، كأنه
شخصية شريرة . ويبدو في رسم آخر يحمل سيفاً وهو
مستعد لمعركة . ولا تظهر عيناه ، فيما تقف إلى جانبه
امرأتان بالبرقع ، لا تظهر سوى عيونهما . وإلى جانب
الرسم قصيدة صغيرة تعتبر أنّ الرسول يسيء معاملة
النساء ، وذلك حسب أحد مترجمي القصيدة .

ويظهر الرسول في أحدها واقفاً على غيمة يحاول
ردع عدد من الانتحاريين المحترقين الذين يحاولون
دخول الجنة . ويقول : توقفوا ، توقفوا . لم يعد لدينا

(١) العربية ، الثلاثاء ٣١ يناير ٢٠٠٦م .

عذارى. ^(١)

إنّنا نقرأ التعاطي مع هذا الحدث من خلال محاور
ثلاثة تشكل قوة حقيقية للتعاطي مع مثل هذه الأحداث
الكبيرة والمهمة :

**المحور الأول: دور الأنظمة والحكومات العربية
والإسلامية.**

إنّ الأدوار المسؤولة التي مارستها بعض الأنظمة العربية
والإسلامية منها استدعاء السفراء أو إلغاء الاتفاقيات
الاقتصادية وما أشبه كان لها الأثر المهم في الرد على
الممارسات المسيئة لشخصية النبي الأكرم عليه السلام .
والذي نأمل أن تحذو باقي الحكومات مثل هذه
المواقف التاريخية الشجاعة مهما كانت التضحيات .
مع العلم أنّ هذه المواقف سوف تزيد من ثقة الشعوب
بقياداتها والوقوف إلى جانبها .

(١) بي بي سي لندن السبت ١٨ فبراير ٢٠٠٦م.

مواقف بعض الدول والحكومات :

إندونيسيا: صرح الرئيس سوسيلو بانبانغ يودهونو بأنّ حكومته تشجب قرار الصحيفة بنشر الصور ودعى العالم الإسلامي لتقبل اعتذار الصحيفة .

إيران: سحب محمود أحمدي نجاد سفير ايران في الدانمارك ودعى إلى إلغاء العقود التجارية بين ايران والدانمارك .

لبنان: صرح وزير الخارجية اللبناني أنّ حدود حرية التعبير يجب أن لا تتجاوز على المعتقدات الدينية .
ماليزيا: صرح رئيس الوزراء أنّ نشر الصور هي محاولة متعمدة للإساءة .

المملكة العربيّة السعوديّة: قامت بسحب سفيرها في الدانمارك للتشاور وأعلن السعوديون مقاطعتهم للمنتجات الدانماركية .

الجماهيرية العربية الليبية : أغلقت سفارتها في الدانمارك .

بنغلاديش: صرح وزير الخارجية مرشد خان أنّ برلمان بلاده تطالب الحكومة الدانماركية بتقديم اعتذار للمسلمين .

تركيا: صرح رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان أنّ الصور الكاريكاتيرية هجوم على القيم الروحية للمسلمين ويجب أن يكون هناك حدود لحرية الصحافة .

سنغافورة: صرح وزير الخارجية ووزير الدولة للشؤون الإسلامية أنّ الضجة أسفرت عن حاجة ملحة لإحترام العقائد الدينية والخصائص العرقية من قبل وسائل الإعلام .^(١)

الأثر الاقتصادي:

ذكرت وسائل الإعلام إلى أنّ المقاطعة كلّفت آرلا

(١) المعرفة الموسوعة الحرة، ٤ - ٥ فبراير ٢٠٠٧م.

الدنماركية ٧, ١ مليون دولار يومياً.^(١)

المحور الثاني: المرجعيات الإسلامية.

إنّ دور المرجعية مهم وفاعل في حياة الأمة الإسلامية.

فهي تتحمل مسؤولية التأصيل الشرعي للمواقف التي ينبغي للشعوب الإسلامية أن تمارسها تجاه الأحداث ، وما ينبغي على المسلمين الالتزام به من مواقف أولاً ، ثانياً : إنّ الشعوب الإسلامية إنّما تتحرك غالباً وفقاً للموقف الشرعي الذي تبناه المرجعية الدينية والإسلامية وذلك اعتماداً على قاعدة : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) بي بي سي لندن الجمعة ٢ فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) ٤٣/ النحل

من مواقف المرجعيات الإسلامية في التاريخ المعاصر
والحديث، التَّنْبَاك في العشرين.

فتوى المجدد الشيرازي الكبير آية الله العظمى السيّد
محمد حسن الشيرازي قَدْ سَمِعْتُ بتحريم التنباك . حيث أدّت
إلى إفلاس الشركة البريطانية المتاجرة بالتبغ ، والتي
كانت غطاء التغلغل في إيران والسيطرة على الحكم
والإقتصاد في سنة ١٨٩١ م .

فقد وافقت حكومة الشاه ناصر الدين القاجارية سنة
١٣١٢ هـ على منح إمتياز زراعة وتجارة التبغ في إيران
للشركة البريطانية ، وهذه كانت بّوابة لدخول الإستعمار
في بلاد الإسلام وفرض الهيمنة السياسية والإقتصادية
والثقافية على المسلمين في إيران ، وبالتالي في غيرها
من بلدان المنطقة .

فلم يمض على توقيع هذه المعاهدة الإستعمارية
الخطيرة وقت طويل حتّى تصدّى لها الإمام الميرزا الكبير
المجدد آية الله العظمى السيّد محمد حسن الشيرازي قَدْ سَمِعْتُ

بإصدار فتوى حرّمت استعمال التبناك وهذا نصّها :
«استعمال التبناك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن
استعمله كان كمن حارب الإمام المنتظر عليه السلام».

وكانت فتوى المجدد الشيرازي الكبير بمثابة ثورة ضد
الإستعمار البريطاني ، فقد أيقظت العالم الإسلامي
وأعطته الوعي السياسي في تاريخه الحديث ، حيث
تنبّه المسلمون بفضلها إلى الأخطار التي يسببها النفوذ
الأجنبي في بلادهم .^(١)

إنّ قراءة المواقف الجهادية للمرجعيات الإسلامية
ودورها في صناعة الأحداث يكشف عن أدوار بطولية
وحضارية مارستها تلك المرجعيات استطاعت من
خلالها توجيه حركة الجماهير الإسلامية .

المحور الثالث: حركة الجماهير المسلمة

إنّ حركة التفاعل للجماهير المسلمة دليل على أنّ
العالم الإسلامي لازال بخير ، فهو يمتلك من القوّة

(١) منتديات إبداع الثقافية.

والالتزام والغيرة على نبي الإسلام ﷺ حيث اجتاحت العالم العربي والإسلامي التظاهرات الاحتجاجية «الذي أساء إلى هذه التظاهرات هو التصعيد والصدامية» والمقاطعة للبضائع الدانماركية .

إنّ هذه المحاور تمثّل في مجموعها مصداقاً للآية المباركة: ﴿إِلَّا نَضْرِبْهُ فَلَاحُكَ قَدْ نَضْرِبْهُ اللَّهُ﴾ .

روبرت فيسك:

الأمر لا يتعلق برأيه بمواجهة بين الإسلام والعلمانية . لأنّ «المسلمين بكل بساطة ينظرون إلى نبيهم على أنّه الرجل الذي اصطفاه الله لتلقّي الوحي بينما ننظر نحن (في الغرب) إلى أنبيائنا على أنّهم جزء من العهود التاريخية السحيقة لا يتلاءم مع حقوق الإنسان الحديثة» .

ويضيف فيسك: إنّ المسلمين ، وخلافاً لنا نحن ، يعيشون ديانتهم على الوجه الأكمل . وقد تمكّنوا من الحفاظ

على عقيدتهم رغم مطبات الدهر.^(١)

الغضب يجتاح أوروبا والشرق الأوسط

سيطرت تداعيات أزمة الرسوم الكاريكاتيرية ، التي نشرتها صحف غربية وأثارت غضباً عارماً في أنحاء العالم الإسلامي ، على اهتمامات الصحف البريطانية الصادرة صباح الإثنين ، واحتلت صفحاتها الأولى ، كما خصّصت لها صفحات إضافية داخلية ، وتنوّع تناول الصحف لها بين التغطية الإخبارية وبين موضوعات التحليل والرأي .

الغضب

اختار الكاتب روبرت فيسك ، هذه الكلمة عنواناً لموضوعه الذي شغل الصفحتين الأوليين من صحيفة الإندبندنت ، والذي يتناول «الاحتجاجات الغاضبة

(١) بي بي سي لندن، السبت ٠٤ فبراير ٢٠٠٦م

التي اجتاحت أوروبا والشرق الأوسط مع تفاقم أزمة الرسوم الكاريكاتيرية».

وتحت هذا العنوان في الصفحة الرئيسية نشرت الصحيفة ست صور لمظاهرات في ست مدن، القاهرة وبيروت ولاهور ودمشق وبروكسل واسطنبول.^(١)

قوة المنطق ومنطق القوة

إنّ المتابع لأحداث العالم يتوصل إلى ما يلي :

١ - لا مكان في هذا العالم للضعفاء . وبالتالي فإنّ الضعف يساوي سحق الكرامة . ونحن لسنا بهذا المستوى من الضعف حتّى نتنازل عن كرامتنا ومقدساتنا . بل إنّنا نمتلك القدرة على مواجهة التحديات والأحداث التي تواجه الأمة ، وإنّ الشعوب تمتلك قابلية الوحدة الإسلامية لتأخذ موقف الدفاع عن الإسلام «الرسول والرسالة» .

(١) بي بي سي لندن الإثنين ٠٦ فبراير ٢٠٠٦م.

٢- إنّ العالم الغربي لا يفهم إلا لغة واحدة هي لغة القوة، ولا نقصد بلغة القوة ممارسة أعمال الإرهاب والعنف، وإنّما نعني بذلك ممارسة كل وسائل الضغط المناسبة لانتزاع الحقوق، لأنّ الحق يؤخذ ولا يعطى.

ولعلّ المسيرات الاحتجاجية والمقاطعة الاقتصادية من وسائل القوة التي نتعاطى من خلالها للوصول إلى أهدافنا وتحقيق كرامتنا.

٣- إنّنا من خلال ممارسة القوة السلمية نؤسّس لما يسمّى بالحوار الحضاري أو -حوار الحضارات- وإلاّ فإنّ لغة الحوار لا فائدة منها ولا طائل. ذلك أنّ الحوار مع الآخر لا يكون إلاّ من خلال القوة. فالآخر السياسي والعقدي لا يتعاطى إلاّ مع منطق القوة.

قد تأسرنا مجموعة الشعارات التي يرفعها العالم الغربي أو الأوروبي من الحرية والديمقراطية -لا ننكر وجود البعض منها- ولكنّا في واقع الممارسة يتكشف

لنا الواقع الزائف لهذه الشعارات .

ففي الوقت الذي يعبرون عن الإساءة إلى رسول الله ﷺ من أنه حرّية تعبير فإنهم يحتجّون على نجاح فيلم فلسطيني حاز على جائزة، أو يحاكمون عالماً بريطانياً يتناول موضوع المحرقة الألمانية لليهود -الهولوكوست-^(١) .

(١) الاوسكارايون يرفضون فيلما فلسطينيا: الفيلم اليد الإلهية للمخرج ايلي سليمان، وانتاج الفرنسي همبرت بالسان، وقد فاز بجائزة النقّاد في مهرجان كان السينمائي. وكان من الممكن أن ينافس على الأوسكار أيضاً لولا أنّ أكاديمية هوليوود للسينما رفضت قبول ترشيحه في مرتبة أفضل الأفلام الأجنبية، والسبب أن الأمم المتحدة لا تعترف بفلسطين كدولة. بي بي سي لندن، السبت ١٨/١/٢٠٠٣م.

(٢) أدانت محكمة الجنايات بالمنطقة الثامنة النمساوية فيينا، أمس الكاتب البريطاني ديفيد أرفينغ بإنكار المحرقة اليهودية وإحياء السياسة النازية وحكمت عليه بالسجن ثلاث سنوات. وقد جرت المحاكمة وسط إجراءات أمنية صارمة وتغطية إعلامية مكثفة وجدال حول التناقضات الأوروبية، بشأن التمسك بتطبيق القوانين أحياناً وبحرية التعبير أحياناً أخرى. / جريدة الشرق الأوسط العدد ٩٩٤٧/ ٢١ فبراير ٢٠٠٦ م.

قراءة في شخصية النبي الأكرم ﷺ :

١. آيات القرآن تشيد بشخصيته ﷺ :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

٢. الرسول الأكرم ﷺ من خلال الروايات الإسلامية :

عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر رسول الله ﷺ

فقال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما برأ الله نسمة خيراً من

(١) ١٢٨ / التوبة

(٢) ٢١ / الأحزاب

(٣) ١٠٧ / الأنبياء

(٤) ٤ / القلم

محمد ﷺ . (١)

عن أبي عبد الله عليه السلام : اتقوا الله وعظموا رسوله ﷺ ولا تفضلوا على رسول الله ﷺ أحداً، فإن الله تبارك وتعالى قد فضله . (٢)

عن الحسين بن عبد الله قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كان رسول الله ﷺ سيّد ولد آدم؟ فقال : كان والله سيّد من خلق الله، وما برأ الله بريّة خيراً من محمد ﷺ . (٣)

٣. في كلمات الكتاب والمفكرين (علماء الغرب):

الكاتب الروسي الكبير تولستوي:
ومّا لا ريب فيه أن النبيّ محمّداً ﷺ كان من عظماء
الرجال المصلحين الذي خدموا المجتمع الإنساني خدمة

(١) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة - المستنبط ١ / ٩٥.

(٢) المصدر السابق ١ / ٩٥.

(٣) المصدر السابق ١ / ١٠١.

جليلة ، ويكفيه فخراً أنّه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة ، ورجل مثل هذا لجدير بالاحترام والإجلال .^(١)

الكاتب الكبير برنارد شو:

إنّي أكنُّ كل تقدير لدين محمّد ﷺ ، لحيويته العجيبة فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أنّ له طاقة هائلة لملائمة أوجه الحياة المتغيرة وصالح لكل العصور . لقد درست حياة هذا الرجل العجيب ، وفي رأيي أنّه يجب أن يسمى منقذ البشرية .^(٢)

(١) ولأول مرة في تاريخ العالم السيد الشيرازي رحمه الله ١/ ١١.

(٢) المصدر السابق.

المستشرق الفرنسي جاك بيرك:

لم يكن الإسلام في أي يوم عدو الديانات الأخرى ،
بل أنه الديانة الوحيدة التي حافظت على حقوق أبناء
الديانات الأخرى ، وهذا موقف ساحر بكل تأكيد ،
وقلما شاهدنا في تاريخ الديانات هذا المستوى من السحر
الذي نشاهده في الإسلام. ^(١)

(١) ولأول مرة في تاريخ العالم السيد الشيرازي رحمه الله ١ / ١٢.

نبي الرحمة محمد ﷺ [٢]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

(١) ١٠٧ / الأنبياء

تعبّر الرسوم المسيئة لشخصية النبي الأكرم عليه السلام عن ثقافة -وعقيدة- تعتمد تصويره عليه السلام على أنه الشخصية الإرهابية التي تغذي الإرهاب.

ولعلنا نتوقف عند المضمون الذي تدل عليه كلمة الإرهاب :

١- أن الإرهاب فكر متشدد يعمل على إلغاء الآخر. والتكفير هو السمة البارزة على أصحاب الفكر الإرهابي المتشدد.

٢- السلوك الاجتماعي والأخلاقي المتحجر، الذي يفتقر إلى الرحمة والعفو والحب والتسامح، هذه القيم التي اتسمت بها الرسالة الإسلامية.

٣- ممارسة أساليب العنف والتدمير والقتل وسفك الدماء، بل السلوك الوحشي لحيوانات الغاب من تعذيب وتشويه للأبرياء، وتخريب للمقدسات كالمساجد وغيرها.

ماذا نقرأ في سيرة النبي الأكرم ﷺ؟

أولاً: الدعوة إلى الخير بالتي هي أحسن ، قال تعالى :
﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١) .

أ- حيث لغة الحوار مع الآخر للوصول معه إلى الحق .
﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٢) .

ب- اعتماد مبدأ البحث عن القواسم المشتركة مع
الآخر . من أجل العيش المشترك .

﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا
نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا
مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٣) .

(١) ١٢٥/ النحل

(٢) ٢٤/سبأ

(٣) ٦٤/ آل عمران

فالحوار كان مبدأ التعاطي مع الآخر - مع المشركين والكفار واليهود والنصارى - .

ثانياً: نقرأ في سيرة الدعوة الإسلامية - سيرة النبي ﷺ - وموقفها من الآخر العقدي الكثير من الأخلاقيات كالرحمة والتسامح والعفو وحقن الدماء . وليس ممارسة العنف والانتقام .

إنّ هذه المفردات الأخلاقية تعبير واضح عن قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .

أخرج مسلم في صحيحه :

قيل : يا رسول الله ، أدع على المشركين .

فقال : إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة . ^(٢)

(١) ١٠٧ / الأنبياء

(٢) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق لحسن مرتضى القزويني ص ٦٩ .

مواقف من سيرة النبي ﷺ:

أ. أفلا شققت الغطاء عن قلبه!

كان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلما أحس بخيل رسول الله ﷺ جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله!

فمرّ به أسامة بن زيد فطعنه فقتله، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبره بذلك فقال رسول الله ﷺ: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله؟! فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوداً من القتل.

فقال رسول الله ﷺ: أفلا شققت الغطاء عن قلبه؟ إلا ما قال بلسانه قبلت ولا ما كان في نفسه علمت..^(١)

وفي رواية أخرى:

أن رسول الله ﷺ قال: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟

قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح؟

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق لحسن مرتضى القزويني ص ١٩٤.

قال : أفلا شققت قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟
فما زال يكررها حتى تمنّيت - والكلام لأسامة - أنني
أسلمت يومئذ (أي لم أسلم قبل ذلك). ^(١)

ب . استنكار لتعذيب المشركين :

روى ابن هشام فقال :

بعث النبي ﷺ بجماعة ليأتوا له بأخبار قريش في
معركة بدر فأصابوا راوية (الإبل التي يستقى عليها
الماء) لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو
يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما
ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاة قريش
بعثونا نسقيهم من الماء .

فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ،
فضربوهما ، فلما أذلّقهما (بالغوا في ضربهما) قالا :
نحن لأبي سفيان ، فتركوهما وركع النبي ﷺ وسجد

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق لحسن مرتضى القزويني ص ١٩٥.

سجديته ثم سلم وقال مستكراً : إذا صدقاكم ضربتموهما
وإذا كذبا كما تركتموهما؟ صدقا والله إنهما لقريش.^(١)

السلم في المنهج الإسلامي

في كتابه السبيل إلى إنهاض المسلمين يشير المرجع
الشيرازي رحمته الله إلى السلم في المنهج الإسلامي ومما
يذكره في هذا الموضوع ما يلي :

١ - لا يكون السلام ولا يتحقق في الواقع الخارجي إلا
إذا كان تفكير الإنسان تفكيراً متزناً وعمله عملاً متزناً
بعيداً عن المراهنات وعن الاعتباطات وعن الإفراطات
والتفريطات .

أمّا أن يرى الإنسان كل خير وفضيلة في نفسه
وجماعته ، ويرى الآخرين مجردين عن الفضيلة بل
ويراهم منغمسين في الرذيلة . فهذا الفكر لابد أن ينتهي
إلى غير السلام - إلى العداوة والبغضاء - ومن المعروف

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ٦١٦/٢ .

أن ثلاثة أشياء قليلها كثير وحقيرها كبير: النار والعداوة والمرض.

فعود ثقاب صغير يحرق مخزناً من الخشب فيه عشرات الأطنان، وربما ينتهي مرض صغير بصاحبه إلى الموت، وربما أدت عداوة صغيرة ناشئة من كلمة نابية أو شبهها إلى سفك الدماء.^(١)

٢- من الضروري مراعاة السلم بالنسبة إلى القائمين بالحركة الإسلامية العالمية، لأن السلام يوجب أولاً التفاف الناس، وثانياً يوجب كبح جماح الأعداء، ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين.

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢).

فالسباب والاعتداء يوجب تقزز الأصدقاء وقوة

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين السيد محمد الشيرازي رحمته الله ص ٢٢٣.

(٢) ١٠٨/ الأنعام

الأعداء ، ولا داعي إلى ذلك فإن السب الاعتباري لا ينتهي إلى شيء وإنما الذي يجب أن يراعيه الإنسان أمام عدوه أن يدفع بالتي هي أحسن ، كما في القرآن الحكيم : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ (١) (٢) .

فيجب التحلي بالسلام على شتى الاتجاهات ،
للولصول للهدف .

(١) ٣٤ - ٣٥ / فصلت

(٢) السبيل إلى إنهاء المسلمين السيد محمد الشيرازي رحمه الله ص ٢٠٥ .

نبي الإنسانية

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

(١) ١٠٧ / الأنبياء

البشرية وتعدد الاعتقاد

تتعدد اعتقادات البشر، وكذا تنوع المواقف والسلوكيات. هذا التعدد الإعتقادي والسلوكي قد يؤدي إلى الصراعات الدامية، والتي تكون مقدمتها الصراعات الإعلامية والفكرية وذلك لأجل سيطرة هذا الاعتقاد -أو ذاك- على الآخر ببسط هيمنته. ولأن هذا الاعتقاد لا يملك قوة الإقناع، فإنه يتحرك من -خلال أفراد- لأجل السيطرة. ولا يكون ذلك إلا من خلال ممارسة القوة والقتل والتدمير، لقبول الآخر وإخضاعه. وإلا فإن الخيار الآخر هو الإبادة للآخر

الفكري والعقدي .

ولعلنا لا نحتاج إلى عناء بحث لإثبات الصراعات
الدموية في العصر الحاضر بسبب تعدد الاعتقاد تارة
والمصالح تارة أخرى . إنَّ عصرنا شاهد على حروب
الإبادة العرقية كما حصل في البوسنة والهرسك على
سبيل المثال .^(١)

ولعلنا نتطلع دائماً للعيش المشترك في ظل سلام
يحقّق للإنسانية رخاءها واستقرارها . فكيف تتمكّن
المجتمعات البشرية من تحقيق التعايش والإنسجام؟
وما هي مفردات ذلك التعايش؟

أولاً: فكر – عقيدة – يحفظ الكرامة الإنسانية

إنَّ رسالة الإسلام جاءت لتحقيق مجموعة من

(١) بدأت حرب الإبادة في البوسنة والهرسك في ١٧ أبريل ١٩٩٢م وانتهت
١٩٩٥م، بعد توقيع اتفاقية دايتون، وبعد إبادة أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مسلم
باعتراف الأمم المتحدة. ويكبيديا الموسوعة الحرة.

القيم :

١ - التأكيد على الكرامة الإنسانية بغض النظر عن العنوان والهوية .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ^(١) .

ويقول الإمام علي عليه السلام : الناس صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق ^(٢) .

قصة الإمام علي عليه السلام والمسيحي الذي كان يستجدي .
مرَّ شيخ مكفوف كبير يسأل . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما هذا ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين نصراني .
فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : استعملتموه حتّى إذا

(١) ٧٠ / الإسراء

(٢) نهج البلاغة ص ٦٢٢ .

كبر وعجز منعموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال.^(١)

٢- الدعوة إلى إصلاح الفكر والاعتقاد، بالطرق التي تحترم حرية الاختيار والكرامة. يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٣).

إننا نقرأ في السيرة النبوية مستوى من الحوار العلمي الهادئ للوصول بالآخر العقدي إلى حقائق التوحيد والإيمان بالله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا

(١) ألف قصة وقصة، رمزي ص ٤٤٨.

(٢) ٢٥٦/ البقرة

(٣) ١٢٥/ النحل

ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ .

احتجاج الرسول ﷺ مع رجال خمسة أديان

قال الصادق عليه السلام في رواية حدثني أبي الباقر عن
جدي علي بن الحسين زين العابدين ، عن أبيه الحسين
سيد الشهداء ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
صلوات الله عليهم أجمعين أنه اجتمع يوماً عند رسول
الله ﷺ أهل خمسة أديان : اليهود والنصارى والدهرية
والثنوية ومشركو العرب .

فقالت اليهود : نحن نقول : عزيز ابن الله ، وقد
جئناك يا محمد لننظر ما تقول ، فإن اتّبعنا فنحن أسبق
إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفنا خصمناك .
وقالت النصارى : نحن نقول : المسيح ابن الله اتّحد
به ، وقد جئناك لننظر ما تقول ، فإن اتّبعنا فنحن أسبق
إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفنا خصمناك .

وقالت الدهريّة: نحن نقول: الأشياء لا بدء لها وهي دائمة، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتّبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك.

وقالت الثنويّة: نحن نقول: إنّ النور والظلمة هما المدبران، وقد جئناك لننظر ما تقول: فإن اتّبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك.

وقال مشركو العرب: نحن نقول: إنّ أوثاننا آلهة جئناك لننظر ما تقول، فإن اتّبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك.

فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله وحده لا شريك له، وكفرت بالجبّ وبكل معبود سواه، ثمّ قال لهم: إنّ الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيراً ونذيراً حجة على العالمين، وسيردُّ كيد من يكيد دينه في نحره.

احتجاجه ﷺ مع اليهود

ثم قال لليهود: أجتئوني لأقبل قولكم بغير حجة؟ قالوا: لا، قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيزاً ابن الله؟ قالوا: لأنه أحيأ لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه.

فقال رسول الله ﷺ: فكيف صار عزيز ابن الله دون موسى وهو الذي جاء لهم بالتوراة ورؤي منه من المعجزات ما قد علمتم. ولئن كان عزيز ابن الله لما ظهر من إكرامة بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوة أحق وأولى، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزيز يوجب له أنه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة، لأنكم إن كنتم إنما تريدون بالبنوة الدلالة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطىء آبائهم لهن فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأن يكون له

خالقُ صنعه وابتدعه ، قالوا : لسنا نعني هذا ، فإنّ هذا كفرٌ كما ذكرت ، ولكنّا نعني أنّه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة ، كما يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانتته بالمنزلة عن غيره : يا بنيّ : وإنّه ابني ؟ لا على إثبات ولادته منه ، لأنّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب بينه وبينه ، وكذلك لما فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتخذه ابنًا على الكرامة لا على الولادة ؟ فقال رسول الله ﷺ : فهذا ما قلته لكم : إنّهُ إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإنّ هذه المنزلة لموسى أولى ، وإنّ الله يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجّته .

وأما ما احتججتم به يؤدّيكم إلى أكبر ممّا ذكرته لكم ، لأنّكم قلتم : إنّ عظيمًا من عظمائكم قد يقول لأجنبيّ لا نسب بينه وبينه : يا بنيّ ، وهذا ابني ، لا على طريق الولادة ، فقد تجدون أيضًا هذا العظيم يقول لأجنبي آخر : هذا أخي ولآخر : هذا شيخي وأبي ، ولآخر :

هذا سيّدي ويا سيّدي على سبيل الإكرام ، وإنّ من زاده
 في الكرامة زاده في مثل هذا القول ، فإذا يجوز عندكم
 أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً له أو أباً أو سيّداً لأنه
 قد زاده في الإكرام ممّا لعزير كما أنّ من زاد رجلاً في
 الإكرام قال له : يا سيّدي ويا شيخي ويا عمّي ويا رئيسي
 على طريق الإكرام ، وإنّ من زاده في الكرامة زاده في
 مثل هذا القول ، أفيجوز عندكم أن يكون موسى أخاً
 لله ، أو شيخاً ، أو عمّاً أو رئيساً ، أو سيّداً أو أميراً؟
 لأنّه قد زاده في الإكرام على من قال له : يا شيخي أو يا
 سيّدي ، أو يا عمّي ، أو يا أميري ، أو يا رئيسي؟ قال :
 فبهت القوم وتحيروا وقالوا . يا محمّد أجّلنا نتفكّر فيما
 قلته لنا ، فقال : انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف
 يهديكم الله .

احتجاجه صلوات الله عليه وآله على النصارى

ثمّ أقبل صلوات الله عليه وآله على النصارى فقال : وأنتم قلتم : إنّ
 القديم عجلّ اتّحد بالمسيح ابنه ، فما الذي أردتموه بهذا

القول؟ أردتم أن القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قديماً لوجود القديم الذي هو الله؟ أو معنى قولكم: إنه اتّحد به أنّه اختصّه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه؟ فإن أردتم أن القديم تعالى صار محدثاً فقد أبطلتم، لأنّ القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً، وإن أردتم أن المحدث صار قديماً فقد أحلتم، لأنّ المحدث أيضاً محال أن يصير قديماً وإن أردتم أنّه اتّحد به بأن اختصّه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتّحد به من أجله، لأنّه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله اتّحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى محدثين، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه، قال: فقالت النصارى: يا محمّد إنّ الله تعالى لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتّخذه ولداً على جهة الكرامة، فقال لهم رسول الله ﷺ: قد سمعتم ما قلته

لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه ، ثم أعاد ﷺ ذلك كله ، فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم قال له : يا محمد أو لستم تقولون : إنّ إبراهيم خليل الله ؟ قال : قد قلنا ذلك ، فقال إذا قلتم ذلك فلم منعمونا من أن نقول : إنّ عيسى ابن الله .

فقال رسول الله ﷺ : إنّهما لم يشتبها ، لأنّ قولنا إنّ إبراهيم خليل الله فإنّما هو مشتق من الخلّة أو الخلّة ، فأما الخلّة إنّما معناها الفقر والفاقة ، وقد كان خليلاً إلى ربه فقيراً ، وإليه منقطعاً ، وعن غيره متعففاً معرضاً مستغنياً ، وذلك لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام وقال له : أدرك عبدي ، فجاءه فلقيه في الهواء فقال : كلّفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك ، فقال : بل حسبي الله ونعم الوكيل ، إنّني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلاّ إليه ؟ فسّمّاه خليله أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمّن سواه . وإذا جعل معنى ذلك من الخلّة وهو أنّه قد تخلّل

معانيه ووقف على أسرارٍ لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به وبأموره ، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه ، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله ؟ وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله ؟ وأنّ من يلدّه الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده ؟ لأنّ معنى الولادة قائم ؟ ثمّ إن وجب لأنّه قال : إبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم فتقولوا : إنّ عيسى ابنه وجب أيضاً أن تقولوا له ولموسى أنّه ابنه ، فإنّ الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى ، فقولوا : إنّ موسى أيضاً ابنه ، وأنّه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى : إنّّه شيخه وسيّده وعمّه ورئيسه وأميره كما ذكرته لليهود . فقال بعضهم لبعض : وفي الكتب المنزلة أنّ عيسى قال : أذهب إلى أبي ، فقال رسول الله ﷺ : فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون فإنّ فيه : أذهب إلى أبي وأبيكم ، فقولوا : إنّ جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه ، ثمّ

إِنَّ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ يَبْطُلُ عَلَيْكُمْ هَذَا الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّ عِيسَى مِنْ جِهَةِ الْإِخْتِصَاصِ كَانَ ابْنًا لَهُ ، لِأَنَّكُمْ قُلْتُمْ : إِنَّمَا قُلْنَا : إِنَّهُ ابْنُهُ لِأَنَّهُ اخْتَصَّ بِمَا لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي خَصَّ بِهِ عِيسَى لَمْ يَخَصَّ بِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ عِيسَى : أَذْهَبَ إِلَى أَبِي وَأَبْيَكُمْ ، فَبَطُلَ أَنْ يَكُونَ الْإِخْتِصَاصُ لِعِيسَى ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَكُمْ بِقَوْلِ عِيسَى لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ إِخْتِصَاصِ عِيسَى وَأَنْتُمْ إِنَّمَا حَكَيْتُمْ لَفْظَةَ عِيسَى وَتَأَوَّلْتُمُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهٍ ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ : أَبِي وَأَبْيَكُمْ فَقَدْ أَرَادَ غَيْرَ مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ وَنَحَلْتُمُوهُ ، وَمَا يَدْرِيكُمْ لَعَلَّهُ عَنَى : أَذْهَبَ إِلَى آدَمَ أَوْ إِلَى نُوحٍ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُنِي إِلَيْهِمْ وَيَجْمَعُنِي مَعَهُمْ ، وَآدَمَ أَبِي وَأَبْيَكُمْ وَكَذَلِكَ نُوحٌ ، بَلْ مَا أَرَادَ غَيْرَ هَذَا ، فَسَكَّتِ النَّصَارَى وَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ مُجَادَلًا وَلَا مُخَاصِمًا وَسَنَنْظُرُ فِي أُمُورِنَا .

احتجاجه عليه السلام على الدهرية

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الدهرية فقال : وأنتم

فما الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة لم تنزل ولا تزال؟ فقالوا: لأننا لا نحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء محدثاً فحكمنا بأنها لم تنزل، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنها لا تزال، فقال رسول الله ﷺ: أفوجدتم لها قدماً أم وجدتم لها بقاءً أبد الأبد؟ فإن قلتم: إنكم وجدتم ذلك أثبتتم لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون الذين يشاهدونكم، قالوا: بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبد الأبد، قال رسول الله ﷺ: فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً؟ لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها، أولى من تارك التمييز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدوث والانقضاء والانقطاع، لأنه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبد الأبد، أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم، فقال: أفترونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم،

قال : أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا : لا ، فقال ﷺ : فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده ، فقالوا : كذلك هو ، فقال : قد حكمتكم بحدوث ما تقدّم من ليل ونهار لم تشاهدوهما فلا تنكروا لله قدرته ثم قال ﷺ : أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناهٍ أم غير متناهٍ؟ فإن قلتُم : غير متناهٍ فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوّلِهِ ، وإن قلتُم : إنّه متناهٍ فقد كان ولا شيء منهما ، قالوا : نعم ، قال لهم : أقلّتم : إنّ العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا : نعم ، قال رسول الله ﷺ : فهذا الذي نشاهده من الأشياء بعضها إلى بعض مفتقر ، لأنّه لا قوام للبعض إلّا بما يتّصل به ، كما ترى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلّا لم يتّسق ولم يستحكم ، وكذلك سائر ما نرى ، قال : فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوّته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف

كان يكون؟ وماذا كانت تكون صفته؟ قال : فصمتوا وعلموا أنّهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنّه قديم ، فوجموا وقالوا : سننظر في أمرنا .

احتجابه ﷺ على الثنوية

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على الثنوية الذين قالوا :
النور والظلمة هما المدبران . فقال : وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟ فقالوا : لأنّا قد وجدنا العالم صنفين : خيراً وشرّاً ، ووجدنا الخير ضدّاً للشر ، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضدّه ، بل لكل واحد منهما فاعل ، ألا ترى أنّ الثلج محال أن يسخن كما أنّ النّار محال أن تبرّد فأثبتنا لذلك صانعين قديمين : ظلمة ونوراً ، فقال لهم رسول الله ﷺ :
أفلمستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحمرةً وصفرةً وزرقةً؟ وكلّ واحد ضدّ لسايرها لاستحالة اجتماع اثنين منهما في محلّ واحد ، كما كان الحرّ والبرد ضدّين لاستحالة

اجتماعهما في محلّ واحد؟ قالوا: نعم. قال: فهلاًّ أثبُتَ بعدد كلّ لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كلّ ضدّ من هذه الألوان غير فاعل الضدّ الآخر؟! قال: فسكتوا.

ثمّ قال: وكيف اختلط هذا النور والظلمة وهذا من طبعه الصعود وهذه من طبعها النزول؟ أرايتم لو أنّ رجلاً أخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً يمشي إليه أكان يجوز أن يلتقيا ما داما سائرين على وجههما؟ قالوا: لا، فقال: وجب أن لا يختلط النور والظلمة، لذهاب كلّ واحد منهما في غير جهة الآخر، فكيف حدث هذا العالم من امتزاج ما محال أن يمتزج؟ بل هما مدبران جميعاً مخلوقان، فقالوا: سننظر في أمورنا.

احتجاجة ﷺ على مشركي العرب

ثمّ أقبل على مشركي العرب وقال: وأنتم فلمَ عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى فقال: أو هي سامعة مطيعة لربّها، عابدة له، حتّى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ فقالوا: لا، قال:

فأنتم الذين نحتموها بأيديكم فلأن تعبدكم هي لو كان
يجوز منها العبادة أخرى من أن تعبدوها إذا لم يكن
أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم
والحكيم فيما يكلفكم ، قال : فلمّا قال رسول الله ﷺ
هذا اختلفوا فقال بعضهم : إنّ الله قد حلّ في هياكل
رجال كانوا على هذه الصور فصوّرنا هذه الصور
نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حلّ فيها ربّنا .
وقال آخرون منهم : إنّ هذه صور أقوام سلفوا كانوا
مطيعين لله قبلنا ، فمثّلنا صورهم وعبدناها تعظيماً
لله .

وقال آخرون منهم : إنّ الله لما خلق آدم وأمر الملائكة
بالسجود له كنّا نحن أحقّ بالسجود لآدم من الملائكة ،
ففاتنا ذلك فصوّرنا صورته فسجدنا له تقرباً إلى الله
تعالى كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى ،
وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكّة ففعلتم ،
ثمّ نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم

إليها وقصدتم الكعبة لا محاريبكم ، وقصدكم بالكعبة
إلى الله عَجَلًا لا إليها .

فقال رسول الله ﷺ : أخطأتم الطريق وضللتهم ، أمّا
أنتم وهو يخاطب الذين قالوا : إنّ الله يحلّ في هياكل
رجال كانوا على هذه الصور التي صوّرها ، فصوّرنا
هذه نعظمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حلّ فيها ربّنا
- فقد وصفتم ربّكم بصفة المخلوقات ، أو يحلّ ربكم
في شيء حتّى يحيط به ذلك الشيء؟ فأيّ فرق بينه إذا
وبين سائر ما يحلّ فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه
وخشونته وثقله وخفته؟ ولم صار هذا المحلول فيه محدثاً
وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً؟
وكيف يحتاج إلى المحالّ من لم يزل قبل المحالّ وهو عَجَلًا
كما لم يزل؟ وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول
فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال ، أمّا ما وصفتموه بالزوال
والحدوث فصفوه بالفناء ، لأنّ ذلك أجمع من صفات
الحال والمحلول فيه ، وجميع ذلك يغيّر الذات ، فإن كان

لم يتغيّر ذات الباري عَزَّ وَجَلَّ بحلوله في شيء جاز أن لا يتغيّر بأن يتحرّك ويسكن ويسودّ ويبيض ويحمرّ ويصفّر وتحلّله الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتّى يكون فيه جميع صفات المحدثين ، ويكون محدثاً - عزّ الله تعالى عن ذلك ثمّ قال رسول الله ﷺ : فإذا بطل ما ظننتموه من أنّ الله يحلّ في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم ، قال : فسكت القوم وقالوا : سننظر في أمورنا .

ثمّ أقبل على الفريق الثاني فقال : أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم له وصلّيتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لربّ العالمين؟! أما علمتم أنّ من حقّ من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده؟ رأيتم ملكاً أو عظيماً إذا ساويتموه بعبده في التعظيم والخشوع والخضوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا : نعم ،

قال : أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون على رب العالمين؟ قال : فسكت القوم بعد أن قالوا : سننظر في أمورنا .

ثم قال رسول الله ﷺ للفريق الثالث : لقد ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولا سواء ، وذلك لأننا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا ، وننجز عما زجرنا ، ونعبده من حيث يريد منا ، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا ولم يأذن لنا ، لأننا لا ندري لعله أراد منا الأول وهو يكره الثاني ، وقد نهانا أن نتقدم بين يديه ، فلمّا أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعنا ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا ، فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتباع أمره ، والله عَزَّ وَجَلَّ حيث أمرنا بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه ، لأنكم لا تدرون لعله يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به؟ ثم قال لهم رسول

الله ﷻ : أرأيتم لو أذن لكم رجل في دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره؟ أو لكم أن تدخلوا داراً له أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أو دابةً من دوابه ألكم أن تأخذوا ذلك؟ فإن لم تأخذوه أخذتم آخر مثله قالوا: لا، لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأول، قال: فأخبروني: الله أولى بأن لا يتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا: بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير إذنه، قال: فلم فعلتم، ومتى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم: سننظر في أمورنا وسكتوا.

وأخيراً.. آمنوا جميعاً

وقال الصادق عليه السلام: فوالذي بعثه بالحق نبياً ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كل فرقة خمسة، وقالوا: ما رأينا مثل حجّتك يا محمد، نشهد

أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال الصادق عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام :

فأنزل الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ فكان في هذه الآية ردّاً على ثلاثة أصناف منهم ، لما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فكان رد على الدهريّة الذين قالوا : الأشياء لا بدء لها وهي دائمة ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ فكان ردّاً على الثنويّة الذين قالوا : إنّ النور والظلمة هما المدبران ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ، فكان ردّاً على مشركي العرب الذين قالوا : إنّ أوثاننا آلهة ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، إلى آخرها ، فكان ردّاً على من ادّعى من دون الله ضدّاً أو ندّاً .

قال : فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي نعبد واحداً لا نقول كما قالت الدهريّة : إنّ الأشياء لا بدء لها وهي دائمة ، ولا كما قالت الثنويّة

الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ النُّورَ وَالظُّلُمَةَ هُمَا الْمَدْبِرَانِ ، وَلَا كَمَا
 قَالَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ: إِنَّ أَوْثَانَنَا آلِهَةٌ ، فَلَا نَشْرِكُ بِكَ
 شَيْئاً ، وَلَا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ إِلَهاً كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ ،
 وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: إِنَّ لَكَ وَلِداً ،
 تَعَالَيْتَ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
 الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ الحديث. (١)

٣- ثقافة التعايش مع الآخر المختلف .

أَنَّ الرِّسُولَ ﷺ قَبِلَ مِنَ الْيَهُودِ الْبَقَاءَ عَلَى دِينِهِمْ
 وَالْبَقَاءَ فِي الْمَدِينَةِ .

كِتَابُهُ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَوَادِعَةُ يَهُودٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَاباً
 بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَادَّعَى فِيهِ يَهُودٌ وَعَاهَدَهُمْ ،
 وَأَقْرَهُهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَشَرَطَ لَهُمْ ، وَاشْتَرَطَ
 عَلَيْهِمْ:

إِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِيَهُودَ دِينَهُمْ ،

(١) الاحتجاج، الطبرسي ١/ ٢٢ - ٢٨.

وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم ، إلّا من ظلم وأثم ، فإنّه لا يُوتغ إلّا نفسه ، وأهل بيته ، وإنّ ليهود بني النجّار مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإنّ ليهود بني ساعده مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإنّ ليهود بني جُشم مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ إلّا من ظلم وأثم ، فإنّه لا يُوتغ إلّا نفسه وأهل بيته ؛ وإنّ جَفْنَة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإنّ لبني الشّطيبة مثل ما ليهود بني عَوْف ، وإنّ البرّ دون الإثم ؛ وإنّ موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإنّ بطانة يهود كأنفسهم ؛ وإنّه لا يخرج منهم أحد إلّا بإذن محمّد ﷺ ؛ وإنّه لا ينحجز على ثار جُرح ؛ وإنّه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلّا من ظلم ؛ وإنّ الله على أبرّ هذا ؛ وإنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإنّ بينهم النصرَ على من حارب أهل هذه الصحيفة ؛ وإنّ بينهم

النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم .^(١)

يؤسس القرآن الكريم لثقافة التعايش مع الآخر المختلف ، لتكون عنواناً في الحياة الإسلامية . هذا التعايش الذي لا يشعر من خلاله الآخر العقدي -اليهود أو النصارى ، مثلاً- بأنه عنصر هامشي لا قيمة له ، بل أنّ الآخر العقدي يشعر بالإنتماء على رغم الاختلاف في العقيدة ، وأنه عنصر مشارك في البناء والحياة الكريمة ، ولعلنا من خلال مراجعة منفتحة على سيرة المصطفى محمد ﷺ نقرأ فيها علاقاته الطبيعية من خلال التعاطي معهم في حياته اليومية . وذلك على قاعدة قول الله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ٢ / ٥٠٣ .

(٢) ٦ / الكافرون

مُسْلِمُونَ ﴿١﴾.

ثانياً: مصلح يستوعب المختلف

إنَّ الشخصية الرسالية للنبيِّ الأكرم ﷺ تكشف عن جوانب عظيمة وكبيرة ، استطاعت أن تستوعب الآخر المختلف .

فهذه السيرة النبويّة حافلة بالقدرة على التعاطي مع الآخر كاليهود والنصارى والمنافقين ومن قبلهم الكفار والمشرّكين . فشخصية النبيِّ ﷺ كانت على قدر عظيم من :

١ - الرحمة المستوعبة للفرد الإنساني على اختلاف عقائده ومواقفه . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

قال العلامة الطّباطبائي في تفسير الآية : أي أنّك

(١) ٦٤ / آل عمران

(٢) ١٠٧ / الأنبياء

رحمة مرسله إلى الجماعات البشرية كلّهم والدليل عليه
الجمع المحلى باللام وذلك مقتضى عموم الرسالة .^(١)

عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : كان
محمّد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدّق به
سعد ، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف
والغرق .^(٢)

وروى العلامة الطبرسي عن ابن عباس أنّه قال :
رحمة للبر والفاجر والمؤمن والكافر ، فهو رحمة
للمؤمن في الدنيا والآخرة ، ورحمة للكافر بأن عوفي
مّا أصاب الأمم من الخسف والمسوخ .^(٣)

٢- الحب للآخر المختلف والعمل على هدايته
وإصلاحه .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ

(١) الميزان ، الطباطبائي ٣٣١/١٤ .

(٢) الجامع ، القرطبي ٣٥٠ / ١١ .

(٣) مجمع البيان ، الطبرسي ١٠٧/٧ .

هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ
وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١﴾

سبب نزولها أنَّ عبد الله بن نفيل كان منافقاً وكان
يقعد لرسول الله ﷺ فيسمع كلامه وينقله إلى المنافقين
ويَنم عليه ، فنزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فقال :
يا محمد إنَّ رجلاً من المنافقين يَنم عليك وينقل حديثك
إلى المنافقين فقال رسول الله ﷺ : من هو؟ فقال :
الرجل الأسود الكثير شعر الرأس ينظر بعينين كأنهما
قد ران ، وينطق بلسان شيطان ، فدعاه رسول الله ﷺ
فأخبره فحلف أنه لم يفعل . فقال رسول الله ﷺ :
قد قبلت منك فلا تعد ، فرجع إلى أصحابه فقال : إنَّ
محمدًا أذن ، أخبره الله إنِّي أنم عليه وأنقل أخباره
فقبل ، وأخبرته إنِّي لم أفعل ذلك فقبل فأنزل الله على
نبيه هذه الآية ، أي : يصدّق الله فيما يقول له ويصدّقك

فيما تعتذر إليه في الظاهر ولا يصدقك في الباطن .
لقد كان هذا المنافق يرى في تسامح النبي معه تخبطاً
-والعياذ بالله- منه وسداجة بتصديقه لكلام كل أحد ،
وهو يراعي جانبهم ويفيض سماحة وخيراً وعفواً .^(١)
إننا نقرأ في شخصية النبي ﷺ وسيرته المباركة
ما يكشف عن الحب والرحمة والشفقة تجاه الكفار
والمشركين وغيرهم ، والمحاولات المخلصة لهدايتهم إلى
الإسلام . والأسى الذي كان ينتابه ﷺ لإصرارهم
على الكفر والتكذيب ، حتى خاطبه الله تعالى بقوله :
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢) .

ويقول تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ
يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾^(٣) .

(١) تفسير القمي ١ / ٣٠٠ .

(٢) ٥٦ / القصص

(٣) ٦ / الكهف

و لقد كان الرسول ﷺ يغتم غمّاً شديداً حيث يرى هؤلاء منحرفين بهذه المثابة ، فسّلاه سبحانه أن لا يغتم لهم ، فإنّ انحرافهم لا يضر إلا أنفسهم ، أمّا الرسول فقد أعذر في الهداية والإرشاد ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ يا رسول الله ﴿ بَخِعٌ ﴾ أي مهلك ﴿ نَفْسَكَ ﴾ غمّاً وحزناً على ﴿ أَثَرِهِمْ ﴾ أي ما يظهر منهم من الأثر ، فإنّ الكافر يظهر منه آثار الكفر ، كما أنّ المؤمن يظهر منه آثار الإيمان ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ أي بالقرآن ، فإنّه حديث الله سبحانه لهداية البشر ﴿ أَسَفًا ﴾ تمييز لبائع نفسك .^(١)

٣- عدم الممارسة الإرهابية من أجل قبول الآخر للإسلام .

يقول الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ

(١) تقريب القرآن ، الشيرازي ٣ / ٣٦٢ .

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

يقول المستشرق أميل ديرمانجم في كتابه حياة
محمد :

إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ الْإِسْلَامِ ﷺ قد أبدى في أغلب
حياته بل في طول حياته إعتدالاً لافتاً للنظر ، فقد برهن
انتصاره النهائي على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثل
في التاريخ ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء المسنين
والأطفال والنساء ، وحذّرهم من أن يهدموا البيوت
أو يسلبوا التجار أو يقطعوا الأشجار المثمرة ، وأمرهم
ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة ، بل
قد بلغنا أنه كان يؤنب بعض قوّاده ويصلح أخطاءهم
إصلاحاً مادياً .^(٢)

٤ - الأخلاق الإسلامية التي تمثلت في كل مواقفه ﷺ
حتى شملت الآخر المختلف .

(١) ٢٥٦ / البقرة

(٢) ولأول مرة ، الشيرازي ١ / ١٥ .

يتحدث لورد هدلي عن شخصية محمد بن عبد الله ﷺ باعتبارها المثل الأعلى فيقول: وقد نال محمد نبي الإسلام ﷺ حب العالم أجمع وحب أعدائه بوجه خاص، وذلك عندما ضرب مثلاً في مكارم الأخلاق بإطلاق سراح عشرة آلاف أسير، كانوا في يوم من الأيام يعملون على قتله والفتك به وإيراده وأصحابه موارد الهلاك...^(١)

الرسول ﷺ وفتح مكة

يتحدث المؤرخون عن دخول النبي ﷺ مكة عام الفتح السنة الثامنة للهجرة، وكيف أنه ﷺ دخلها مطأطأ برأسه وقد استقبلته جموع قريش.

إنَّ من الطبيعي أن يتحدث أهل مكة بأنفسهم وهم يتذكرون معاداتهم الشديدة والطويلة لرسول الله ﷺ وجرائمهم الكبرى بحقه، وبحق دعوته ويقول بعضهم: أنه سيقتلنا حتماً، أو يقتل فريقاً منا، ويحبس

(١) ولأول مرة، الشيرازي ١ / ١٨.

آخرين ويحبس ذريتنا ونساءنا ، جزاء ما فعلنا .
 وبينما كانوا -في تلك اللحظات- فريسة هذه
 الأفكار والتصورات الشيطانية كسر رسول الله ﷺ
 جدار الصمت الرهيب الذي يخيم على أرجاء المسجد
 الحرام وقال سائلاً : ماذا تقولون . . . وماذا تظنون ؟ !
 فقال أهل مكة : وقد تملكتهم حيرة شديدة ، وخوف
 عظيم وهم قد عرفوا رحمة النبي ، ورأفته ولطفه ،
 وخلقه العظيم : نقول خيراً ، ونظن خيراً ، أخُ كريم ،
 وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال رسول الله ونبي
 الرحمة ﷺ وقد سمع هذه العبارات العاطفية : فإني
 أقول لكم كما قال أخي يوسف ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
 الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١) (٢)
 ثم أن رسول الله ﷺ أعلن عن العفو العام عن
 جميع أهل مكة بقوله : ألا لبس جيران النبي كتمت ،

(١) ٩٢ / يوسف.

(٢) سيد المرسلين ، السبحاني ٢ / ٤٩٦.

لقد كذبتُم، وطردتم، وأخرجتم، وآذيتُم، ثمَّ ما
رضيتُم حتَّى جئتموني في بلادي تقاتلونني إذهبوا فأنتم
الطلقاء. ^(١)

إذا نحن بحاجة اليوم إلى قراءة الإسلام -من خلال
الشخصية النبوية- قراءة صحيحة واعية من مصادره
النقيّة والأصيلة، حتّى نستوعب منها قيم الخير والحب
والفضيلة والتعايش والسلام.

(١) سيد المرسلين، السبحاني ٢ / ٤٩٧.

الرسول ﷺ ودوائر الضعف الاجتماعية

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

(١) ٢١ / الأحزاب

أولاً: الإنسان والحاجة إلى القيم

إنَّ الطبيعة البشرية يتمثل فيها السلبية والضعف ،
وبالتالي فإنَّها تحتاج إلى القيم التي تربي وتهذب هذه
الطبيعة . إنَّ القرآن الكريم حينما يتحدث عن الإنسان
فإنَّه يكشف عن السلبية التي يتصف بها مثل :
قوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا ﴾^(١) .
وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾^(٢) .
فالضعف في الشخصية الإنسانية له مفردات كثيرة

(١) ٢٨ / النساء

(٢) ١٩ / المعارج

وواسعة ، منها الظلم والتعدي والإساءة والغيبة
والنميمة وسوء الخلق وما أشبهه .

والقيم الإلهية قادرة على تربية الإنسان وانتشاله
من الضعف الإعتقادي والسلوكي والأخلاقي إلى قوة
الاعتقاد وإيجابية السلوك والأخلاق .

يقول الله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ .

فالإيمان دعامة أساس لبناء الشخصية الإسلامية التي
تتصف بالقوة في الاعتقاد والسلوك .

إنَّ القيم الإسلامية تعمل ضمن مسارين إثنين :
الأول: التزكية للنفس البشرية والعمل على تصفيتها
من شوائب الفكر والاعتقاد الخاطئ ، وهو مقدمة
لتصحيح السلوك الفردي والاجتماعي في الحياة .

الثاني: التعليم لمفردات الفكر والاعتقاد من المصادر

السليمة النقية التي تربي في الإنسان مجموعة القيم السلوكية والأخلاقية .

يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(١) .

(١) ٢ / الجمعة

ثانياً: الرسول ﷺ ودوائر الضعف الاجتماعية

إنَّ القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع وهو الوحي من الله تعالى إلى النبي الأكرم ﷺ ، كشف عن قيمة مهمة في الحياة الإنسانية وهي دعوته إلى الاقتداء والتأسي بالسيرة الشخصية للنبي ﷺ على اعتبار أنه :
أ- السيرة والمنهج الأفضل لبناء الإنسان الفرد والإنسان المجتمع .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) .
عن الإمام علي عليه السلام : فليتأس متأس بنبيّه وإلا فلا

(١) ٤ / القلم

يأمنن الهلكة .^(١)

إنَّ قراءة السيرة العظيمة للنبيِّ الأكرم ﷺ هي الأساس النفسي والفكري لكل من يتطلع إلى السلوك الأفضل في الحياة . وأنَّ الإنسان يستطيع العمل من أجل الوصول إلى الأفضل من خلال إيمانه بالقيم والسلوكيات التي قرأها في سيرة النبيِّ الأكرم ﷺ .

ب- الوسيلة الأفضل للوصول إلى الخالق سبحانه .
فإذا كان الفكر مقدمة للعمل ، فإنَّ في سيرة النبيِّ الأعظم ﷺ الكثير من الأفكار والقيم ، وبالتالي ما يحفز للوصول بالشخصية الإنسانية إلى قمم الكمال .
فإنَّنا من خلال النبيِّ ﷺ وهو الوسيلة ، نستطيع الوصول إلى تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى . إذاً فالطريق إلى الله تعالى يكون من خلال المصطفى محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

(١) من فقه الزهراء ، الشيرازي رحمه الله ١١٠ / ٣ .

كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١﴾.



من سيرة المصطفى

ولعلَّ السيرة هي أبرز مثال على ذلك ، ومن مفرداتها التعاطي مع دوائر الضعف الاجتماعية المختلفة . هذا اللون من السيرة المعبرة عن مستوى الرحمة والإستيعاب لكل الدوائر المختلفة في الحياة الإسلامية .

إنّنا نقرأ مستويات متعددة من دوائر الضعف :

- أ- دوائر الضعف الاجتماعية في الواقع الإسلامي .
- ب- دوائر الضعف العقديّة من خلال كونها أقليات دينية في الدولة الإسلامية .
- ج- أخلاقيات التعاطي مع العدو في أرض المعركة ، والتعاطي مع دوائر الضعف كالأسرى من المقاتلين والرجال والنساء والأطفال .

كل هذه المستويات تجلّت فيها عظمة النبي ﷺ

وسيرته الإلهية التي تعاطت بمبدأ الرحمة والعفو والتسامح .

قال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١) .

نماذج من سيرة المصطفى ﷺ :

أ- مع دوائر الضعف الاجتماعية في الواقع الإسلامي .

مع جارية:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم فأخذت بطرف ثوبه ، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً ففعلت ذلك ثلاث مرات فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت ، فقال لها

(١) ١٩٩ / الأعراف

النَّاس :

فعل الله بك وفعل ، حبست رسول الله ﷺ ثلاث
مرات لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً ، ما كانت
حاجتك إليه ؟

قالت : إنّ لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ من ثوبه
ليستشفى بها فلمّا أردت أخذها رأني فقام فاستحييت
أن آخذها وهو يراني وأكره أن أستأمره في أخذها
فأخذتها .^(١)

هوّن عليك!

وعن ابن مسعود قال :

أتى النبي ﷺ رجل يكلمه فأرعد ، فقال ﷺ :
هوّن عليك ، فلست بملك ، إنّما أنا ابن امرأة كانت
تأكل القد ! (اللحم النّيئ) .^(٢)

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، القزويني/٨٤.

(٢) المصدر السابق/٨٩

مع المستضعفين:

كان النبي ﷺ يجد في قربهِ إلى المستضعفين والمعوزين والفقراء راحة وسكينة لا يجدها وهو قريب من الأغنياء والمترفين .

ذكروا: أنه كان بالمدينة فقراء مؤمنون يسمّون أصحاب الصفة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صفة يأوون إليها، وكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بنفسه وربما حمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه ينكرون ذلك عليه ويقولون: أطردهم عنك . فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب الصفة قد لزق برسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يحدثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله ﷺ: تقدّم! فلم يفعل، فقال له رسول الله ﷺ: لعلك خفت أن يلزق فقره بك؟ فقال الأنصاري:

أُطْرِدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) . ^(٢)

رحمة بالأطفال والنساء:

عن أنس بن مالك قال : أن النبي ﷺ قال : إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز (أسرع) في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه !!

وعن انس أيضاً قال : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه .

وروى العلامة المجلسي القضية الطريفة التالية :

(١) ٥٢ / الأنعام

(٢) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، القزويني/٩٦.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة وأذن في الناس بالحج فتجهز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن جوانبها خلق كثير، فلما إنتهى إلى ذي الحليفة ولدت هناك أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأقام تلك الليلة من أجلها! ^(١)

ب- دوائر الضعف العقدي وهي الأقليات الدينية كاليهود والنصارى .

مع يهودي:

عن أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعبده! ^(٢)

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق، القزويني/١٩٨

(٢) نفس المصدر السابق/٢٠٣.

أليست نفساً؟..

ومن أجمل المواقف الإنسانية الأخلاقية التي سجلها التاريخ للرسول الأعظم ﷺ ما ذكره البخاري في صحيحه عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد قالا :
انّ النبي ﷺ مرت به جنازة فقام : ف قيل له : إنّها جنازة يهودي ؟!

فقال ﷺ : أليست نفساً؟ ..!

وفي رواية أخرى :

قيل : يا رسول الله إنّها جنازة يهودي ؟!

قال ﷺ : إذا رأيتم الجنازة فقوموا .^(١)

وروي :

انّ علياً عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً (مسيحي أو يهودي يعيش في دولة الإسلام) فقال له الذمي : أين تريد يا عبد الله ؟

قال : أريد الكوفة . فلمّا عدل الطريق بالذمي عدل

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، القزويني/٢٠٣.

معه علي عليه السلام.

فقال له الذمي : أليس زعمت تريد الكوفة؟

قال : بلى .

فقال له الذمي : فقد تركت الطريق؟

فقال : قد علمت .

فقال له : فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟

فقال له علي : هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع

الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا .

فقال له : هكذا أمركم نبيكم؟!

قال : نعم .

فقال له الذمي : لا جرم انما تبعه من تبعه لأفعاله

الكريمة ، وأنا أشهدك على دينك . فرجع الذمي مع

علي عليه السلام فلما عرفه أنه خليفة المسلمين أسلم. ^(١)

ج- دوائر الضعف للقوى المعادية كأسرى الحرب من

الكفار واليهود .

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، القزويني/٢١٦.

استنكار لقتل النساء والأسرى:

عن عبد الله بن مسعود قال: أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان.

وفي معركة حنين، مرّ رسول الله ﷺ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون (مجتمعون) عليها. فقال: ما هذا؟

فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد. فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: أدرك خالدًا فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيلاً (الأجير والعبد المستعان به).^(١) وعن معاوية قال:

ما زال المسلمون يقتلون المشركين -يوم حنين- ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار فأمر رسول الله ﷺ بالكف ونادى: لا يقتل أسير من القوم، وكانت هذيل

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق، القزويني/١٩٥.

بعثت رسولاً يقال له : ابن الأكوع أيام الفتح عيناً على النبي ﷺ حتى علم علمه فجاء إلى هذيل بخبره ، وأسر يوم حنين ، فمر به عمر بن الخطاب ، فلما رآه أقبل على رجل من الأنصار وقال : هذا عدو الله الذي كان علينا عيناً ها هو أسير فاقتله فضرب الأنصاري عنقه وبلغ ذلك النبي ﷺ فكره ذلك وقال : ألم أمركم أن لا تقتلوا أسيراً؟!

وقتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير فبعث رسول الله ﷺ إلى الأنصار وهو مغضب فقال : ما حملكم على قتلة وقد جاءكم الرسول أن لا تقتلوا أسيراً؟! فقالوا : إنما قتلناه بقول عمر ، فأعرض رسول الله ﷺ حتى كلمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك .^(١)

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، القزويني/١٩٦.

رحمة بالسبايا:

ولما مرّ بلال في خير بصفية بنت حيي بن أخطب اليهودي وامرأة معها على قتلى من قتلى اليهود، جعلتا تبكيان وتولولان، فلمّا رأهما رسول الله ﷺ قال لبلال:

أنزعت منك الرحمة يا بلال؛ حيث تمر بإمرأتين على قتلى رجالهما؟^(١)

رحمة بالأسرى:

قال ابن عباس: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والناس (الأسرى) محبوسون بالوثاق بات ساهراً أول الليل فقال له أصحابه: مالك لا تنام؟ فقال ﷺ: سمعت أنين عمي العباس في وثاقه. فأطلقوه، فسكت، فنام رسول الله ﷺ.^(٢)

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق، القزويني/١٩٧.

(٢) نفس المصدر السابق/١٩٨.

مع دعثور:

خرج رسول الله ﷺ في غزوة ذي أمر لما بلغه أن جمعاً من غطفان يريدون المدينة ، عليهم دعثور بن الحارث ، فأمطرت السماء فأصاب المطر ثوب رسول الله ﷺ فنزع ثيابه ، وكان بعيداً عن أصحابه ، فنشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون إليه ، فقالوا لدعثور : قد أمكنك محمد وقد انفرد من بين أصحابه : فاختار سيفاً صارماً وأقبل على رسول الله ﷺ وقام على رأسه بالسيف مشهوراً فقال : من ينجيك مني يا محمد؟

قال : الله !

فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه فقال : من يمنعك مني؟ قال : جودك وكرمك !

فتركه وقام يقول : والله لأنت خير مني وأكرم. ^(١)

(١) الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، القزويني/٢٣٦.

المبعث الشريف والإسراء والمعراج

﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١).

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالى
رحمة للعالمين، وكافة للناس أجمعين. وكان الله
قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به،

(١) ١ / العلق.

(٢) ١ / الإسراء.

والتصديق له ، والنصر على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدّقهم ، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحقّ فيه ، يقول الله تعالى لنبيه محمّد ﷺ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝﴾ (١) .

قيل أنّه أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو في غار حراء فيتعبّد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة عليها السلام فيتزود لمثلها ، حتّى فاجأه الحقّ في السابع والعشرين من شهر رجب الحرام ، وهو ﷺ في غار حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ ! قال : وما اقرأ ؟ قال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

(١) ٨١/ آل عمران.

خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
 ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾. (٢)

الإسراء والمعراج

ومن القضايا التي اتفقت لرسول الله ﷺ في مكة :
 قضية المعراج وذلك على ما نطق به القرآن الكريم ، فلقد
 أسري به ﷺ ليلاً بجسده الشريف وفي حال اليقظة من
 المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو : بيت المقدس ،
 راكباً على مركب أعده له جبرائيل بأمر من الله تعالى
 يقال له : البراق .

وذلك بصحبة جبرائيل حيث نزل به بطيبة في طريقه
 إلى المسجد الأقصى فصلّى فيها رسول الله ﷺ فقال له
 جبرائيل : هذه طيبة وإليها مهاجرتك ، ثم نزل به بطور
 سيناء ، فصلّى بها قال له جبرئيل : هذه طور سيناء حيث
 كلم الله موسى تكليماً ، ثم نزل به بعد ذلك بيت لحم

(١) ١-٥ / العلق

(٢) ولأول مرة في تاريخ العالم. الشيرازي ٥٣/١.

فصلى فيها فقال له جبرائيل : هذه بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم على رواية ، ثم انتهى به إلى بيت المقدس فنزل هناك ، وربط رسول الله ﷺ البراق بالحلقة .

ثم التقى ﷺ بالأنبياء عليهم السلام حيث رأهم قد اجتمعوا إليه هناك ، وأقيمت الصلاة ، فأذن جبرائيل وأقام وقال فيهما : حيّ على خير العمل ، ثم أخذ بعضد رسول الله ﷺ وقدمه للصلاة ، فصلى ﷺ بالأنبياء عليهم السلام إماماً .

ثم سرى به في تلك الليلة من بيت المقدس إلى مسجد الكوفة حيث صلى هناك أيضاً .^(١)

المشركون وأنباء الرحلة

فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بمعراجه ، وبما أراه الله من آياته الكبرى ، وأخذ يحدثهم بأنّه أتى بيت المقدس ورجع من ليلته ، وأنّ آية ذلك أنّه مرّ بغير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد اضلّوا

(١) ولأول مرة في تاريخ العالم. الشيرازي ١١٥/١.

جمالاً لهم أحمر ، وقد همّ القوم في طلبه .
فاشتدّ تكذيب القوم له وأذاهم ، ومرّ به أبو جهل
فجاء حتّى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ هل كان من
شيء ؟

قال ﷺ : نعم .

قال : ما هو ؟

قال : أسري بي الليلة .

قال : إلى أين ؟

قال : إلى بيت المقدس .

قال : ثمّ أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال : نعم .

قال : إن دعوت قومك أتحدّثهم بما حدثني به ؟

قال : نعم .

قال : يا معشر بني كعب بن لؤي . فانفضّت إليه

المجالس وجاءوا حتّى جلسوا إليهما . فقال : حدّث

قومك بما حدثني .

فقال رسول الله ﷺ : إني أسري بي الليلة .

قالوا : إلى أين ؟

قال : إلى بيت المقدس .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟

قال : نعم .

فمن بين مصعق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً . فقال المطعم بن عدي : كل أمرك قبل اليوم كان تماماً غير قولك هذا ، أنا أشهد أنك كاذب . نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً ، تزعم أنك أتيت في ليلة ! واللات والعزى لا أصدقك .

فقالوا : يا محمد ، صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل ؟ وفي القوم من سافر إليه .

فذهب ﷺ ينعت لهم : بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا ، فما زال ينعت لهم .

فقالوا : كم للمسجد من باب ؟

فجاء جبرئيل فقال : يا رسول الله انظر ههنا ، فنظر
إلى بيت المقدس وقد انكشف له فأخذ ﷺ يعدّ لهم
أبوابها باباً باباً .

فقال القوم : أمّا النعت فوالله لقد أصاب .

ثم قالوا له : أخبرنا عن غيرنا وعن قدومها ، فأخبرهم
عنها في مسراه ورجوعه ، وأخبرهم عن وقت قدومها ،
وعن البعير الذي يقدمها .

وكان الأمر كما قال . فرموه بالسحر ولم يؤمن منهم
إلا قليل ، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ
وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) .

(١) ١٠١/ يونس

(٢) ولأول مرة في تاريخ العالم. الشيرازي ١١٨/١ - ١٢٠.

ففي ذكرى المبعث والمعراج^(١)

في هذه المناسبة الإحتفالية نعيش معاً ذكرى حادثين
عظيمتين: ^(١)

الأولى: المبعث النبوي الشريف .

الثانية: الإسراء والمعراج .

نستلهم منها - المناسبة - ما يلي :

(١) على القول بأن المبعث والمعراج كان كل منهما في السابع والعشرين من شهر رجب فالمبعث كان النبي ﷺ له من العمر أربعون سنة، والإسراء والمعراج كان بعد البعثة بسنتين أو ثلاث.

أولاً: أن يتحول الوعي إلى مطلب ضروري في حياتنا
لأجل بناء الإنسان .

قال تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١) .

فكلمة (اقرأ) هي البداية لـ :

١ - أن يفتح أفق الإنسان على العالم فيما يرتبط
بالخلق والقدرة الإلهية ، وما يحتويه الإنسان من دلائل
وعجائب الصنع الإلهي ، فإنّ هذا التكوين الجسماني
لما له من دلائل قدرة الله تعالى لا نتوصل إليها إلا من
خلال -اقرأ- الذي يحكي لنا قصة خلق الإنسان وما
أودع الله تعالى فيه من أسرار الخلقه وعظيم القدرة
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٢) .

إننا لا نستطيع أن نكتشف قدرة الخالق الذي نرتبط به

(١) ١ / العلق

(٢) ٥٣ / فصلت

ونعبده حقَّ عبادته إلا من خلال الوعي والمعرفة .
عن أصبغ بن نباته قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام :
تعلّموا العلم فإنّ تعلمه حسنة... بالعلم يطاع الله ويعبد ،
وبالعلم يعرف الله ويوحّد ، وبالعلم توصل الأرحام وبه
يعرف الحلال من الحرام .^(١)

فالوعي طاقة المسير إلى الله تعالى ، حتى تعمّر
النفوس بذكره تعالى وتسمو .

٢- تفتح أفق البناء للإنسان والحياة ، لأنّ اقرأ وقود
وطاقة الحركة الفاعلة في بناء الوعي عند الإنسان
ليتحرك بخطى ثابتة من أجل بناء حضاري ، اليوم إنّما
نعتمد على اقرأ لنعيش رفاه العلم والتقدم في كل مفردات
حياتنا ، إنّنا نتقدم في هذا العصر على كل المستويات
التقنية والتكنولوجية التي تلبي حاجات الإنسان الأولية
من وسائل معرفية ومادية ، وتغطّي مساحات كبيرة من
حاجاته ، ولعلّ من أمثلة ذلك التقدم في وسائل السفر

(١) ميزان الحكمة ، الريشهري ٤٥٣/٦ .

والإتصال وما أشبه كل ذلك بفعل المعرفة .

يقول الله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ (١) 》 .

ثانياً: وحدة المسير ووحدة المصير .

إن الرحلة الإعجازية التي بدأت بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فيها دلالة على الارتباط وثيق الصلة بينهما لأنهما مركزان لرسالات السماء وبعثة الأنبياء وقبلة الموحدين .

هذا الارتباط في المسير يؤدي إلى ارتباط في المصير ، فما دام هناك احتلال للأقصى فإنه بمثابة الإحتلال للمسجد الحرام . لذا فمن الواجب علينا أن نعيش مأساة الأقصى لتتحول من حالة شعارية إلى حالة شعورية ، ولتفاعل بشكل روحي معها . هذا التفاعل تختلف وسائله وطرقه من الدعم المادي والمعنوي فهذه

(١) ٣-٥/العلق

مسئولية مقدّسة نستلهمها من هذه المناسبة ، وهذه الآية : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

ثالثاً: تصعيد الحالة الروحية:

الأحداث لها أثر مباشر على الفرد ، فكلّما كانت الأحداث كبيرة كلّما كان تأثيرها أكبر . فالعظماء على سبيل المثال ، كنبىّ الإسلام محمد ﷺ بمقدار عظّمته وعظمة رسالته ومسؤوليته ، كانت المواقف من الأحداث كبيرة ، ولكنّ مجموعها يؤثّر بشكل أو بآخر عليه ﷺ (تأثر النبىّ ليس بسبب الإيذاء الذي تلقاه ﷺ فقط ولكن السبب الأهمّ خوفه وقلقه على وضع الأمة).

فكان هذا الحدث الإعجازي بكل ما يحتويه من عظمة (الإسراء والمعراج) ، وما رافق هذه الرحلة من

(١) ١/ الإسراء

مشاهد عظيمة (كرؤية : الأنبياء ﷺ ، شجرة طوبى ، الجنة ، النار . . إلخ) أثر في تصعيد الحالة المعنوية عند رسول الله ﷺ حيث كان بمثابة الجرعات الروحية والمعنوية التي احتاج إليها النبي ﷺ لمرحلة متقدمة من مراحل الدعوة .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۚ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ۖ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ ۝١١ أَفَتَمُرُونَهُ ۚ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۚ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۚ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۚ ۝١٨﴾ .

وإذا كان الرسول ﷺ هو الأسوة والقدوة للإنسانية جمعاء ، وإذا كانت مهمته هي حمل أعباء الرسالة إلى العالم بأسره ، وإذا كان سوف يواجه من التحديات ، ومن المصاعب والمشكلات ما هو بحجم هذه المهمة الكبرى ، فإن من الطبيعي أن يعده الله سبحانه إعداداً

جيداً لذلك ، وليكن المقصود من قصة الإسراء والمعراج هو أن يشاهد الرسول الأعظم ﷺ بعض آثار عظمة الله تعالى ، في عملية تربوية رائعة ، وتعميق وترسيخ للطاقة الإيمانية فيه ، وليعدّه لمواجهة التحديات الكبرى التي تنتظره ، وتحمل المشاق والمصاعب والأذى التي لم يواجهها أحد قبله ، ولا بعده ، حتّى لقد قال حسبما نقل (ما أودى نبيّ مثلما أوديت) . ولا سيّما إذا عرفنا : أنّ عمق إدراك هذا النبيّ الأعظم ﷺ -وهو عقل الكل- ، وإمام الكل -لأخطار الانحرافات في المجتمعات، وانعكاساتها العميقة على الأجيال اللاحقة ، كان من شأنه أن يعصر نفسه ألماً من أجلهم ، ويزيد في تأثيره وعذاب روحه حتّى لقد خاطبه الله تعالى بقوله : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾^(١) .

وأيضاً ، فإنّه بالإسراء والمعراج يفتح قلبه وعقله ليكون أرحب من هذا الكون ، ويمنحه الرؤية الواضحة ،

والوعي الأعظم في تعامله مع الأمور ، ومعالجته
للمشكلات. ولا سيّما إذا كان لابد أن يتحمل مسؤولية
قيادة الأمة والعالم بأسره. ^(١)
ولعلنا نستفيد من هذا المعنى الحاجة إلى تصعيد
حالتنا الروحية بسبب الأحداث العالمية : السياسية منها
والاقتصادية والاجتماعية وانعكاساتها على مجتمعاتنا
الإسلامية .

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ - العامل ج ٣/٣٢- ٣٣.

في ذكرى المبعث والإسراء والمعراج^(٢)

في هذه الذكرى هناك مقطعان زمنيان مرتبطان
بالرسالة الإسلامية :

الأول: مقطع إقرأ

الثاني: مقطع أسرى

إنّ المقطع الأول يدلنا على انتقال التكوين الرسالي
إلى مرحلة التكوين الحضاري . إنّ كلمة (إقرأ) كانت
بداية مرحلة جديدة في العالم تنقله من عالم الظلمة
-بكل مدلولاتها- إلى فضاءات واسعة من النور والحرية
والكرامة . قال تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١).

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴾ (٢).

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ
مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣).

هذا أولاً ، ثانياً أنّ رحلة الإسراء والمعراج كانت بعد
سنوات من الجهاد والمعاناة في سبيل تكوين حضاري

(١) ١-٥ / العلق

(٢) ٢ / الجمعة

(٣) ١٥٧ / الأعراف

يعيد للإنسان وللدولة عزة وقوة وكرامة ، لأنّ للإنسان دوراً في بناء الدولة كما أنّ للدولة دوراً في تنمية طاقات الإنسان .

ثالثاً: كان لمعجزة الإسراء والمعراج أدوار مهمة في تسليّة قلب النبيّ ﷺ لما كان من الممارسات الظالمة والإرهابية ، ولتطلع ﷺ إلى أفق أوسع وأرحب يعيش فيه عظمة الله وآفاق المستقبل .

إننا من خلال قراءة المقطعين الزمنيين بحاجة إلى ما يلي:

١ - ضرورة التنمية الشاملة التي تعتمد العلم والوعي كأساس للبناء الحضاري - كثيراً ما نسمع من خلال وسائل الإعلام عن التنمية في مجتمعاتنا ولكننا لا نرى واقعاً لها- وأن نسخر ونستفيد من كل إمكانياتنا وثرواتنا لبناء حضاري يتعاطى ويتفاعل مع كل المنجزات الحضارية .

قال رسول الله ﷺ : العلم حياة الإسلام وعماد الإيمان.^(١)

وقال الإمام علي عليه السلام : اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة.^(٢)

في الوقت الذي تستبعد فيه الطاقات والكفاءات لأسباب مختلفة ، لإعطاء المجال لثلة من الذين يفتقرون إلى الكفاءة ، مهمة أن يكونوا أبواقاً تروج للسياسات . وكذلك إهدار الثروة على صفقات أو سياسات لا تعود بالنفع على الأمة بالخير ، بل تسهم في إبقاء حالة التخلف والفقر والفساد والتردي الاقتصادي والاجتماعي وحتى السياسي .

٢- إننا بحاجة إلى قراءة الأزمات قراءة واعية مستفيضة نتمكن من خلالها أن نستوعب تجارب الأزمة حتى نحولها إلى وقود فاعل لمستقبل السلم والبناء . لأن

(١) ميزان الحكمة ، الريشهري ٤٥٢/٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

الأزمات من شأنها أن تفت من العزيمة ، حتّى نبداً بالتراجع عن أهدافنا في الحياة ، أو أنّنا ننشغل بالأزمات وندخل دوامتها فنبتعد كثيراً عن تحقيق الأهداف .

قد نتصور أعداء وهميين ونسلح بما لا حاجة له من السلاح -مثلاً- فنسخر كل مكاسب هذه المرحلة الاقتصادية بعد هذه الطفرات الهائلة في أسعار النفط ، على صفقات نبدد من خلالها كل ثرواتنا على حساب إهمال جوانب التنمية البشرية والاقتصادية التي ترفع من مستوى الحياة الكريمة لكل مواطن . لأنّ الفرد هو السلاح الحقيقي والفاعل للدفاع عن الأرض والوطن .

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الاحتجاج ، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- ٣- الإعجاز العلمي في الإسلام ، القرآن الكريم ، محمد كامل عبد الصمد - الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ .
- ٤- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن احمد القرطبي - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، منشورات ناصر خسرو .
- ٥- الرسول الأكرم مدرسة الأخلاق ، حسن مرتضى

- القزويني - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ دار البيان العربي .
- ٦- السبيل إلى إنهاض المسلمين ، آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره - الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٧- السيرة النبوية لابن هشام - دار احياء التراث العربي بيروت .
- ٨- الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي - دار السيرة بيروت .
- ٩- ألف قصة وقصة من حياة الإمام علي عليه السلام ، محمد رضا رمزي - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، دار الرسول الأكرم .
- ١٠- القطرة من بحار مناقب النبي والعترة ، آية الله العلامة السيد أحمد المستنبط رحمة الله عليه - الطبعة الثالثة ١٤٢٣ هـ .
- ١١- الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي - الطبعة الخامسة ١٤١٧ هـ ، مؤسسة

النشر الإسلامي .

١٢- بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة المجلسي .

١٣- تفسير القمّي - علي بن ابراهيم القمي ، دار الكتاب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ .

١٤- تقريب القرآن إلى الأذهان ، آية الله العظمى السيّد محمّد الحسيني الشيرازي قدس سرّه - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، دار العلوم للتحقيق والطباعة .

١٥- سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله ، الأستاذ المحقق الشيخ جعفر السبحاني - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ دار البيان العربي .

١٦- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - دار المعرفة للطباعة والنشر .

١٧- من فقه الزهراء عليها السلام خطبتها في المسجد ، آية الله العظمى الإمام السيّد محمّد الحسيني الشيرازي قدس سرّه -

- الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ دار الصادق .
- ١٨ - ميزان الحكمة ، محمد ريشهري - الطبعة الثانية ،
طباعة مطابع مركز النشر (مكتب الإعلام الإسلامي) ،
١٣٦٧ هـ جري شمسي .
- ١٩ - نهج البلاغة ، الشريف الرضي - مؤسسة المعارف
بيروت .
- ٢٠ - ولأول مرة في تأريخ العالم ، آية الله العظمى
الإمام السيّد محمّد الحسيني الشيرازي قدس سرّه - الطبعة
الأولى ١٤١٦ هـ .
- ٢١ - مواقع الكترونية :
أ - العربية نت .
ب - المعرفة الموسوعة الحرة .
ج - بي بي سي العربية .
د - جريدة الشرق الأوسط .
هـ - منتديات إبداع الثقافية .

المحتويات

٧.....	الإهداء
٩.....	مقدمة
١١.....	بين ثقافتين
١٢.....	بين ثقافتين
١٢.....	أما الأولى: ثقافة التغيير
١٦.....	حالة العرب قبل البعثة النبوية
١٧.....	أما الثانية: ثقافة التشويه
٢٠.....	بين ثقافتين
٢٣.....	نبي الرحمة محمد ﷺ
٢٤.....	الرسوم المسيئة

- الرسوم: وما مضمونها؟ ٢٥
- قراءة في شخصيّة النبي الأكرم عليه السلام: ٣٧
- نبي الرحمة محمد عليه السلام: ٤١
- ماذا نقرأ في سيرة النبي الأكرم عليه السلام؟ ٤٣
- مواقف من سيرة النبي عليه السلام: ٤٥
- ب. استنكار لتعذيب المشركين: ٤٦
- السلم في المنهج الإسلامي ٤٧
- نبي الإنسانية ٥٠
- البشرية وتعدد الاعتقاد ٥١
- أولاً: فكر - عقيدة - يحفظ الكرامة الإنسانية ٥٢
- ثانياً: مصلح يستوعب المختلف ٧٧
- الرسول عليه السلام ودوائر الضعف الاجتماعية ٨٦
- أولاً: الإنسان والحاجة إلى القيم ٨٧
- ثانياً: الرسول عليه السلام ودوائر الضعف الاجتماعية ٩٠
- من سيرة المصطفى عليه السلام: ٩٢
- المبعث الشريف والإسراء والمعراج ١٠٤
- في ذكرى المبعث والمعراج ١١١

أولاً: أن يتحول الوعي إلى مطلب ضروري في حياتنا لأجل

بناء الإنسان ١١٢

ثانياً: وحدة المسير ووحدة المصير ١١٤

ثالثاً: تصعيد الحالة الروحية: ١١٥

في ذكرى المبعث والإسراء والمعراج ١١٩

المصادر والمراجع ١٢٥